العدد الثالث والعشرون
2006

مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة تصدر سنويا

1374 من وفاة الرسول ﷺ الموافق لعام 2006 مسيحي

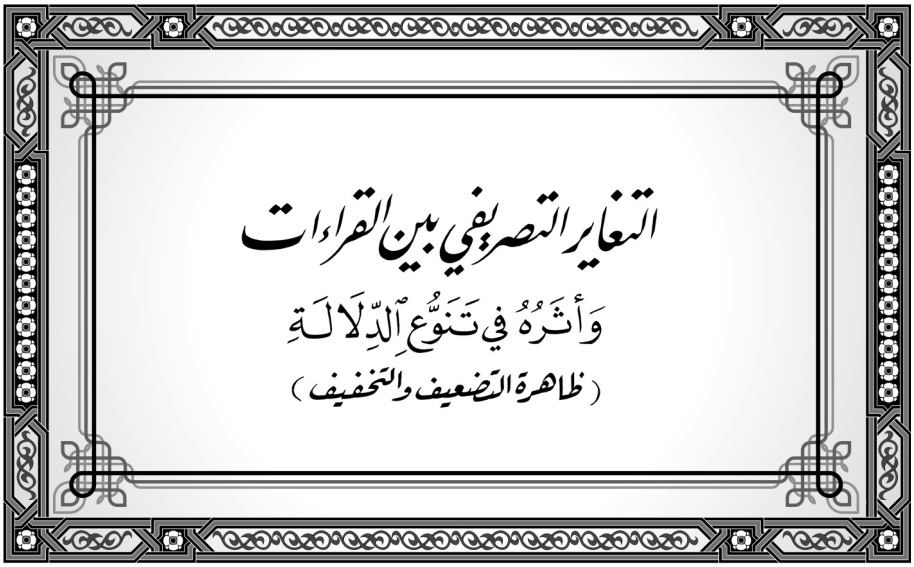

د. ساسي امحمّد مانيطه
جامعة السابع من إبريل - الزاوية

تـوطئــة[1]

معنى التغاير:

التغاير: مصدر الفعل تغاير، مطاوع غيَّر مضعف العين بمعنى بدَّل، يقال: غيَّر الشيء: بدل به غيره، أو جعله على غير ما كان عليه، وفي المحكم لابن سيدة «تغيَّر الشيء عن حاله: تحوّل. وغيَّره: حوله وبدله، كأنه جعله غير ما كان»[2] وفي القاموس «تغيَّر عن حاله: تحوَّل، وغيره: جعله غير ما كان، وحوله وبدله»[3].

(1) القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
(2) المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، علي بن إسماعيل بن سيدة، ت: مراد كامل.
(3) القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبدي.

معنى التَّصريف:

التَّصريف في اللُّغة: مصدر الفعل صرَّف المضاعف، ومعناه: غيَّر، جاء في القاموس: «تصريف الرياح: تَحَوُّلها من وجه إلى وجه، وصرَّفته في الأمر تصريفاً فتصرَّف: قلَّبته فتقلَّب»[4].

والتَّصريف في الاصطلاح: «علم بأصول تُعرف بها أبنية الكلم التي ليست باعراب»[5] والمراد بأبنية الكلم «هيأتها التي يمكن أن يشاركها فيها غيرها، وهي عدد حروفها المرتبة، وحركاتها المعينة، وسكونها، مع اعتبار الحروف الزائدة والأصلية، كلٌ في موضعه»[6].

وبناء على ما ذُكر يكون المراد بالتغاير التّصريفي: التغيير الذي يحدث في صورة الكلمة، وصيغها قبل التركيب. ولما كان ذلك يحدث كثيراً في ألفاظ القرآن الكريم بسبب تنوع القراءات، الأمر الذي ينشأ عنه أحياناً تنوع في الدلالة واختلاف في المعنى، فإن هذا البحث يعرض صوراً من تلك الظواهر، تتلوه ـ إن شاء الله ـ أبحاث في الاتجاه نفسه.

صور التغاير التصريفي بين القراءات:

1 ـ التغاير بين الألفاظ بالتَّضعيف أو التخفيف مثل اختلاف القراءات في لفظ «المعذِّرون»[7] بين تضعيف الذال، وتخفيفه، واختلاف القراءات في لفظ «تلقونه»[8] بين تضعيف القاف وتخفيفه، ونحو ذلك مما سيجيء.

2 ـ التغاير بين الألفاظ من حيث اختلاف الحركات، كاختلاف القراءات في لفظ «قرح»[9] بين ضم القاف وفتحها، واختلافها في لفظ «كره» بين ضم الكاف وفتحها ونحو ذلك.

---

(4) المصدر السابق.

(5) شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي.

(6) المصدر السابق.

(7) من قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ [التوبة: 90].

(8) من قوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ [النور: 15].

(9) من قوله تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾ آل [عمران: 140].

3 ـ التغاير بين الألفاظ من حيث إثبات بعض حروف اللفظ، أو حذفها كاختلاف القراءات في لفظ «قاتل»[10] الذي تغايرت قراءاته بين إثبات الألف وحذفها وكذلك اختلافها في لفظ «فرَّقوا»[11] الذي تغايرت قراءته بين حذف الألف وتشديد الراء وإثباتها وتخفيف الراء، ونحو ذلك.

ولما كنت قد خصصت هذا لبحث لعرض أمثلة للصورة الأولى فإن الأمثلة التي سأعرضها ليست على سبيل الحصر وإنما هي أمثلة لتأكيد وجود تلك الظاهرة في قراءات القرآن الكريم متواترها وشاذِّها.

من صور التغاير التَّصريفي بين القراءات (التّضعيف أو التّخفيف)

1 ـ في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾[12] اختلف القراء في لفظ «تعلمون» فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو «تعْلَمون» بإسكان العين وتخفيف اللام، وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي «تُعَلِّمون» بضم التاء وكسر اللام مضعفاً[13]، ومعلوم أن ثمة فرقاً في الدلالة بين «تعلِّمون» مشدّدة، و«تعلمون» مخففة وإن كانتا تلتقيان في مادة (ع ل م)، إذ «تُعَلِّمون» المشددة معناها: تمارسون مهنة التعليم، و«تعلَمون» المخففة معناها تعرفون الأشياء، وتدركون كنهها، ومن ثم ترتب على ذلك التغاير التصريفي بين الفعلين في القراءتين المتواترتين تغاير في الدلالة، وعلّل أصحاب كل قراءة وجه الرواية التي قرؤوا بها، يقول الطبري: «قراءة التخفيف تعني: بِعِلْمِكم الكتاب، ودراستكم إياه، وقراءتكم»[14]، ثم ذكر تعليل القراء الذين اختاروا هذا الوجه من القراءة وهو قولهم: «لو كان التشديد في اللام وضم التاء لكان الصواب في «تدرسون» بضم التاء وتشديد الراء»[15]، وأما علّة الذين

---

(10) من قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ﴾ [البقرة: 216].

(11) من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا﴾ [الأنعام: 159].

(12) سورة آل عمران، الآية: 79.

(13) انظر: إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه 1/ 117 والبحر المحيط لأبي حيان 2/ 538.

(14) تفسير الطبري 3/ 327.

(15) انظر: المصدر السابق.

اختاروا التشديد فهي تفيد «أن من وصفهم بالتعليم فقد وصفهم بالعلم، إذ لا يُعَلِّمون إلا بعد علمهم بما يُعلِّمون، [إذ] لا موصوف بأنه يُعلِّم إلا وهو موصوف بأنه عالم، فأما الموصوف بأنه عالم فهو غير موصوف بأنه معلم غيره»[16].

وقال الفراء: «تُقرأ: تُعلِّمون وتَعْلمون، وجاء في التفسير: بقراءتكم الكتب، وعلمكم بها، فكان الوجه: تَعلمون، وقرأ الكسائي وحمزة: تُعلِّمون، لأن العالم يقع عليه يُعلِّم ويَعلم[17].

أما أي القراءتين أجود ـ عند من يرى التفاوت بينَ القراءات ـ فإن قراءة التشديد «أبلغ في المدح لأنهم لا يُعلِّمون إلا وقد علموا هم، ولا يكون العالم كاملاً حتى يعمل بعلمه وأحد عمله: تعليمه غيره»[18].

2 ـ ومن ذلك اختلاف القراءات بين تشديد وتخفيف لفظ «ميت» وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم مفرداً: منكراً، ومعرفاً سبع عشرة مرة:

* في سورة آل عمران الآية: 27 قال تعالى: ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾.

* في سورة الأنعام الآية: 95 قال تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾.

وفي الآية: 122 قال تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾.

* في سورة الأعراف الآية: 57 قال تعالى: ﴿سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾.

* في سورة يونس الآية: 31 قال تعالى: ﴿وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾.

---

(16) انظر: المصدر السابق.

(17) انظر: معاني القرآن للفراء 1/ 224.

(18) إعراب القراءات السبع لابن خالويه 1/ 117، وانظر: معاني القرآن وإعرابه للزّجّاج 1/ 436.

* في سورة إبراهيم الآية: 17 قال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾.

* في سورة الفرقان الآية: 49 قال تعالى: ﴿لِّنُحْيِيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾.

* في سورة الرُّوم الآية: 19 قال تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾.

* في سورة فاطر الآية: 9 قال تعالى: ﴿فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾.

* في سورة الزمر الآية: 30 قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾.

* في سورة الزخرف الآية: 11 قال تعالى: ﴿فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾.

* في سورة الحجرات الآية: 12 قال تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾.

* في سورة ق الآية: 11 قال تعالى: ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾.

وقد اختلفت القراءات بين تضعيف الياء وتخفيفها من سورة إلى أخرى إذ قرأ نافع بالتشديد في كل القرآن، وقرأ حمزة والكسائي، وفي رواية حفص عن عاصم بالتشديد في غير الآية 122 من سورة الأنعام، والآية 12 من سورة الحجرات، وقرأ الباقون بالتخفيف في الجميع[19] ونتج عن ذلك الاختلاف في القراءات اختلاف في الرؤية الدلالية، فمن قائل بأن اللفظين بمعنى واحد، ومن قائل بأن «ميِّت» المشددة استعملها العرب لما لم يمت، وسيموت، واستعملوا المخففة لما مات وها هو ذا البيان:

أ ـ القول باتفاق اللفظين في المعنى:

يميل معظم المفسرين إلى القول بأن «ميِّت» مشددة، أو مخففة هي لمعنى واحد، وأن التشديد إنما حدث لعلّة تصريفية بحتة يقول أبو عبيدة في مجاز قوله

(19) انظر: إعراب القراءات السبع 1/ 110، ومختصر في شواذ القراءات لابن خالويه ص144، والنشر في القراءات العشر 2/ 224.

تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾[20]: هي تخفيف ميِّتة، ومعناهما واحد، خففت أو ثقلت كقول ابن الرعلاء:

ليس من مات فاستراح بميْت إنما الميْت ميِّت الأحياء
إنما الميْت من يعيش ذليلا سيئاً باله قليل الرجاء[21]

ويقول ابن خالويه: «فمن شدّد فهو على أصل الكلمة، لأنه لما اجتمع واو وياء والسابق ساكن قلبوا من الواو ياء وأدغموا الياء في الياء»[22] وقال أبو عليٍّ الفارسيِّ: «الميِّت هو الأصل، والواو التي هي عين منه انقلبت ياء لإدغام الياء فيها[23] وقال أبو حيّان بعد ذكر القراءتين: «هما لغتان جيدتان، وقد جمع بينهما الشاعر في قوله:

ليس من مات فاستراح بميْت إنما الميْت ميِّت الأحياء[24]

ب ـ القول باختلاف اللفظين في المعنى:

من المفسرين من أشار إلى اختلاف الدلالة بين اللفظين بسبب التغاير التصريفي بين القراءات، فالطبري وهو يفسر الآية السابعة والعشرين من سورة آل عمران يقول: «تثقيل الياء من الميِّت بمعنى أنه يُخرج الشيء الحيَّ من الشيء الذي قد مات وممَّا لم يمت، وقرأت جماعة أخرى منهم: «تُخرج الحيَّ من الميْت وتُخرج الميْت من الحيِّ: «بتخفيف الياء من الميت، بمعنى أنه يُخرج الشيء الحيَّ من الشيء الذي قد مات دون الشيء الذي لم يمت، وتُخرج الشيء الميت دون الشيء الذي لم يمت من الشيء الحيِّ، وذلك مثقل الياء عند العرب ما لم يمت، وسيموت، وما قد مات، وأما الميْت مخففاً فهو الذي قد مات»[25]، وقال ابن عطية: «وذهب قوم إلى أن الميْت بالتخفيف إنما يستعمل

(20) سورة المائدة، الآية: 3.
(21) مجاز القرآن لأبي عبيدة 1/ 149، 148.
(22) إعراب القراءات السبع 1/ 110.
(23) أنظر: المحرر الوجيز لابن عطية 1/ 418.
(24) البحر المحيط لأبي حيان 1/ 660.
(25) تفسير الطبري 3/ 226.

فيما قد مات، وأما الميِّت بالتشديد فيُستعمل فيما مات، وفيما لم يمت»[26]، وقد خطَّأ الزّجّاج هذا القول، واعتبر بيت ابن الرعلاء شاهداً لمجيء اللفظين بمعنى واحد، قال: «وقال بعضهم: الميِّت يقال لما لم يمت، والميْت لما قد مات، وهذا خطأ، إنما ميِّت يصلح لما قد مات ولما سيموت، قال الله ـ عز وجل: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[27] وقال الشاعر في تصديق أن الميِّت والميْت بمعنى واحد:

ليس من مات فاستراح بميْت إنما الميْت ميِّت الأحياء[28]

وإذا كانت جل الآيات التي وردت فيها لفظة «ميت» مذكراً أو مؤنثاً بالتاء تحتمل ما قرره أصحاب الرأي فإن سياق الآية: 12 من سورة الحجرات قوله تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ بالتخفيف وهي قراءة الجمهور من القراء يدل على أن «ميْت» لما مات، إذ أن المراد المبالغة في التنفير من الغِيبة التي نزلت الآية في شأنها، والدليل على أن «ميْتاً» في الآية لما مات: قال بعضهم: إن من أوجه الشبه بين الميْت والغائب: أن الميْت لا يحسّ وكذلك الغائب لا يسمع ما يقول فيه المغتاب[29].

وكذلك استدلوا على أن تشديد «ميِّت» يدل على ما لم يمت بعدُ باتفاق القراء على التشديد في الآية: 17 من سورة إبراهيم وهي قوله تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾، وكذلك الآية: 30 من سورة الزمر، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾، ففي الآية الأولى يصف الباري ـ عزّ وجلّ أحوال الكافر عند الاحتضار، وما يصيبه من الآلام عند سكرات الموت، فهو يشعر بالموت يأتيه، وما هو بميت، وفي الآية الثانية يخاطب رب العزّة ـ سبحانه ـ رسوله محمداً ـ ﷺ، وأمته بأن كلا صائر إلى الموت، فالمخاطبون لم يموتوا

---

(26) المحرر الوجيز لابن عطية 1/ 418.

(27) سورة الزمر، الآية: 30.

(28) معاني القرآن وإعرابه للزّجّاج 2/ 144.

(29) أنظر: البحر المحيط 1/ 114.

بعد[30]، فسياق الآيتين، واتفاق القراء على التشديد فيهما يشعران باختلاف الدلالة الناتج عن التغاير التصريفي بين قراءتي التشديد والتخفيف في لفظ «ميت» والله أعلم.

3 ـ ومن ذلك اختلاف القراءات بين التشديد والتخفيف في لفظ «المعذرون» من قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾[31] حيث قرأها جمهور القراء بفتح العين وكسر الذال مشددة «المعَذِرون» وقرأ يقوب بن أبي إسحاق الحضرمي المتوفى سنة 205 هـ ـ أحد القراء العشرة «المعْذِرون» بسكون العين وكسر الذال خفيفة، وقرئت في الشواذ «المُعَذّرون» بفتح العين والذال مشددة[32]. والذي يعنينا في هذا المقام لبيان أثر التغاير التصريفي في الدلالة: قراءة الجمهور «المُعَذِّرون» بفتح العين وكسر الذال مشددة اسم فاعل من عذَّر، وقراءة يعقوب «المُعْذرون» بسكون العين وكسر الذال مخففة اسم فاعل من أعذر، فما الفرق الدلالي بين عذَر وأعذر؟.

أما قراءة الجمهور «المُعذِّرون» مشددة فهي إما أن تكون اسم فاعل من عذَّر المضاعف: من لم يثبت له عذر[33]، قال الفراء: «أما المعذّر على جهة المفعّل، فهو الذي يعتذر بغير عذر[34] وروي عن ابن عباس ـ رضي الله عنه أنه قال: في معنى الآية «لَعَنَ المعذّرين»، ذهب إلى من يعتذر بغير عذر[35] وقال الزّجّاج «يجوز أن يكون المعذّرون الذين يوهمون أن لهم عذراً، ولاعذر لهم[36]، وقال أبو حيان: «عذَّر مضاعف العين: تكلف العذر، ولا عذر له، ويقال عذّر في الأمر: قصّر فيه وتوانى، وحقيقته أن يوهم أن له عذراً فيما

(30) أنظر: المصدر السابق 5/ 403، و7/ 408.
(31) سورة التوبة، الآية: 90.
(32) أنظر: شواذ ابن خالويه 54، وإتحاف فضلاء البشر للدمياطي 2/ 96، والبحر المحيط 5/ 86.
(33) القاموس المحيط باب الراء فصل العين.
(34) معاني القرآن للفراء 1/ 448.
(35) انظر: المصدر السابق.
(36) معاني القرآن وإعرابه للزّجّاج 2/ 464.

يفعل، ولا عذر له»[37]. وإما أن يكون«المُعذِّرون» أصله: المعتذرون اسم فاعل من اعتذر أدغمت فيه تاء الافتعال، كما تدغم في الصاد من اختصم، قال تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾[38]، وقد رُدَّ هذا لأن تاء الافتعال لا تدغم في العين لبعد مخرجيهما[39]، ومعنى اعتذر: قدَّم عذراً، كان له عذر أو لم يكن[40].

وأما قراءة يعقوب «المعْذِرون» مخففة اسم فاعل من أعذر بمعنى بلغ أقصى العذر قال الزّجّاج: «من قرأ المعْذِرون فتأويله الذين أعذروا أي جاؤوا بعذر»[41]، ومنه قولهم: قد أعذر من أنذر» أي قد بالغ في العذر من تقدم إليك فأعذرك»[42] فالتغاير التصريفي الذي حدث في الكلمة بسبب تنوع القراءات بين التشديد والتخفيف كان له أثر في الدلالة كما ذكرنا إلا أن أسباب نزول الآية قد يحدد المعنى المراد، فإن كان المعذرون هم الذين تخلفوا بعذر قدموه إلى النبي ﷺ، فقبله منهم، وأذن لهم في التخلف عن الغزو «وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا يا رسول الله لو غزونا معك أغارت أعراب طيّ على حلائلنا وأولادنا ومواشينا فعذرهم النبي ﷺ»[43] فهذا المعنى يتفق مع قراءة يعقوب «المُعْذِرون» مخففة، وإن كان المعذرون كما رُوي «قوم من غفار اعتذروا فلم يعذرهم النبيّ ﷺ، لعلمه أنهم غير محقين»[44] فهذا يتفق مع قراءة الجمهور «المُعَذِّرون» مشددة والله أعلم.

4 ـ ومن ذلك اختلاف القراء بين تشديد لفظ «مفرطون» وتخفيفه من قوله

---

(37) البحر المحيط 5/ 86.

(38) سورة يس، الآية: 49.

(39) أنظر: المحرر الوجيز لابن عطية 3/ 70، والبحر المحيط 5/ 86.

(40) أنظر: معاني القرآن وإعرابه للزّجّاج 2/ 46.

(41) تفسير القرطبي 8/ 225.

(42) المصدر السابق.

(43) أنظر: المصدر السابق.

(44) أنظر: إتحاف فضلاء البشر للدمياطي 2/ 284، والبحر المحيط 6/ 391.

تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفۡرَطُونَ﴾[45] فقد قرأ نافع من السبعة وأكثر أهل المدينة «مُفرِطون» بكسر الراء مخففة، وقرأ باقي السبعة «مُفرَطون» بفتح الراء مخففة، وقرأ أبو جعفر يزيد بن القعقاع أحد القراء العشرة المتوفى سنة 130 هـ.

«مُفرِّطون» مثقلة[46] وقد أدى هذا التغاير التّصريفي بين قراءة الجمهور وقراءة أبي جعفر إلى اختلاف الدلالة، فعلى قراءة نافع «مُفرِطون» اسم فاعل من أفرط يكون المعنى: تجاوز الحد في المعاصي، وأسرف فيها يقول الفراء: «مُفرِطون بكسر الراء: كانوا مُفرِطين في سوء العمل لأنفسهم في الذنوب»[47]، وقال الزّجّاج: «من قرأ مُفرِطون فالمعنى على أنهم أفرطوا في معصية الله، كما تقول قد أفرط فلان في مكروهي[48] فالإفراط في هذا بمعنى: تجاوز الحد في معاصي الله ـ عزّ وجلّ ـ[49] وأما قراءة باقي السبعة «مُفرَطون» بفتح الراء مخففة، فمعناها: متروكون منسبون من أفرطت فلاناً خلفي: خلفته ونسيته[50].

وقيل معنى: مُفرَطون مُقدَّمون إلى النار والعذاب إذ الفرط في اللغة التقدم يقال: فرِط يفرِط، وهو فارط وفرِط: تقدم، ومنه قيل لتباشير الصبح: أفراطه، ويقال في الدعاء للمُعزَّى: جعله الله لك فرَطاً وسلفاً صالحاً، وعليه جاء قول الرسول ﷺ «أنا فرطكم على الحوض»[51].

كأنه قال: أنا أولكم قُدُماً على الحوض، وقول الشاعر:

واستعجلونا وكانوا من صحابتنا كما تعجَّل فرّاطٌ لوِرّاد[52]

ثم نأتي إلى قراءة التشديد «مُفرِّطون» وهي اسم فاعل من فرَّط بمعنى:

---

(45) سورة النحل، الآية: 62.

(46) أنظر: النشر 2/ 304، والبحر المحيط 5/ 419.

(47) أنظر: معاني القرآن للفراء 2/ 102.

(48) معاني القرآن وإعرابه للزّجّاج 2/ 208.

(49) أنظر: المحرر الوجيز 3/ 404، والبحر المحيط 5/ 490.

(50) أنظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة 1/ 361.

(51) أنظر: الفائق في غريب الحديث للزمخشري 3/ 97.

(52) البيت للقطامي وانظر: المحرر الوجيز لابن عطية 3/ 403.

قصّر وضيّع حق الله وعباده، وعليه جاء قول الله تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾[53]. فقد تباينت الدلالات وفقاً لتباين القراءات، إذ تبين أن معنى أفرط بالغ في التقصير، أي كان يفعل الشيء بتقصير وأما فرّط فمعناه: ضيَّع ولم يفعل شيئاً، فالفرق بين المعنيّين دقيق والله أعلم.

5 ـ ومن ذلك التغاير التّصريفي بين القراءات اختلاف القراء بين التشديد والتخفيف في لفظ «العادين» من قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾[54] إذ قرأ الجمهور من القكراء «العادِّين» بتضعيف الدال، وقرأ الكسائي من السبعة في رواية، والحسن البصري «العادِين» مخففة، وقُرئت في الشواذ «العاديين» بيائين نسبة إلى عاد[55].

فأما قراءة الجمهور «العادِّين» بتضعيف الدال فمعناها واضح إذ هي جمع عادٍّ أي حاسب العدد ومُحصيه، وسياق الآيات مع هذا المعنى، فقد جاء السؤال بكم العددية في الآية السابقة قال تعالى: ﴿قَلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾[56]، وذلك يُشعر بأن لفظ «العادِّين»: جمع عادٍّ أي حافظ العدد، ولذلك لم يلتفت المتقدمون من العلماء إلى قراءة التخفيف فالفراء يوجه معنى الآية بقوله: «قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم لا ندري، فاسأل الحفظة هم العادّون»[57]، ووجَّهها الزّجّاج فقال: «فاسأل الملائكة الذين كانوا يحفظون عدد ما لبثنا[58] ومنهم من لم يجعل الملائكة هم العادّون، وإنما هم أهل الحساب، والآية تحتمل المعنيين كما وضَّح ابن عطية، وأبو حيان[59].

وأما قراءة التخفيف «العادِين» جمع عادٍ اسم فاعل من عدا عليه

---

(53) سورة الزمر، الآية: 56.

(54) سورة المؤمنون، الآية: 113.

(55) أنظر: شواذ ابن خالويه ص101 والإتحاف 2/ 249، والبحر المحيط 6/ 391.

(56) سورة المؤمنون: الآية: 112.

(57) معاني القرآن للفراء 2/ 243.

(58) معاني القرآن وإعرابه للزّجّاج 4/ 25.

(59) أنظر: المحرر الوجيز 4/ 159، والبحر المحيط 6/ 390.

بمعنى ظلمه، وتجاوز معه الحد، وعلى هذا وُجِّه معنى الآية على النحو الآتي:

قال أبو حيان: «وقرأ الحسن والكسائي في رواية «العادِين» بتخفيف الدال، أي الظلمة، فإنهم يقولون كما نقول»[60]، وزاد الألوسي قوله: «كأن الأتباع يُسمُّون الرؤساء بذلك لظلمهم إياهم بإضلالهم»[61]، وهذه القراءةُ وإن لم يعضدها السياق إلا أنها من القراءات المروية عن الكسائي وهو من القراء السبعة، وعن الحسن البصريِّ وهو من القراء الأربعة عشر، كما أن المعنى العام الذي تتحدث عنه الآيات، وهوموقف الكافرين يوم الحساب الذين يحاول بعضهم إلقاء اللوم على بعض كما صور القرآن الكريم ذلك في كثير من آياته مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾[62]، هذا المعنى يجعل الآية التي نحن بصدد الحديث عنها تحتمل وجه قراءة التخفيف في لفظ «العادِين» والله أعلم.

6 ـ ومما تغايرت دلالته بسبب التضعيف أو التخفيف في القراءات ما جاء في لفظ «تلقَّونه» من قوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾[63] حيث قرأها جمهور القراء «تلقَّونه» بتضعيف القاف، وقُرئت في الشواذ: «تُلقُونه» بضم التاء والقاف مخففة، و«تَلقَونه» بفتح القاف مخففة وفيها قراءات متعددة لا يتسع المجال لذكرها[64] إذ المراد بيان التغاير الدلالي بين قراءتي التضعيف والتخفيف خاصة.

أما قراءة الجمهور «تلقَّونه» مضعفة القاف، فهي من التلقي، وتلقى الأمر

---

(60) البحر المحيط 6/ 391.

(61) تفسير الألوسي (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) 18/ 70.

(62) سورة السبأ، الآية: 32.

(63) سورة النور، الآية: 15.

(64) قراءة التخفيف لابن السميفع. أنظر: شواذ ابن خالويه 102 والمحتسب لابن جني 2/ 104 والبحر المحيط 6/ 402.

وتلقَّنه وتلقَّفه بمعنى أخذه، ومنه تلقى فلان العلم عن فلان: أخذه عنه، وعلى هذا وُجِّهت قراءة الجمهور، والآية كما هو معلوم يدور معناها حول قصة الإفك، حيث كان الخائضون يتلقّون خبر السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ بنوع من التلقف لإشاعة الفاحشة في ذلك المجتمع الطاهر النقيِّ[65] يقول أبو عبيدة: «إذ تلقَّونه بألسنتكم مجازه: تقبلونه، ويأخذه بعضكم عن بعض»[66].

وأما قراءة التخفيف «تُلقُونه» بضم القاف فهي من ألقى إليه القول، وبالقول: أبلغه إياه والمعنى ـ والله أعلم ـ: إذ تلقونه بأفواهكم «وتديرونه فيها من غير علم، لأن الشيء المعلوم يكون في القلب، ثم يعبّر عنه اللسان، وهذا الإفك ليس محله إلا الأفواه»[67]، ويحتمل أن يكون المعنى من ألقى إليه بالا بمعنى: اكترث به واستمع إليه، أو من ألقى سمعه، أو إليه السمع، بمعنى استمع إليه وأصغى، وسياق الآيات يحتمل تلك المعاني فلقد كان الخائضون في الإفك وجلُّهم من المنافقين يُلقي بعضهم إلى بعض حديث الإفك فيجد لدى المستمع قبولاً، ويسعى الجميع بترديد تلك القصة الملفقة رغبة في إشاعة الفاحشة بين المؤمنين.

وقراءة «تَلقَونه» مضارع لقي يحتمل المعاني السالفة أيضاً، وإذا كانت قراءتا التخفيف من القراءات الشاذة، وقراءة التشديد هي القراءة المتواترة فإن التغاير التصريفي بين القراءتين نتج عنه تغاير في الدلالة، ورأينا معنى الآيات يحتمل ذلك، وتلك هي خصائص الأسلوب القرآني.

7 ـ ومن هذا القبيل اختلاف القراءات بين التشديد والتخفيف في لفظ «يُخربون» من قوله تعالى: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[68] حيث قرأ الجمهور من القراء «يُخرِبون»

(65) أنظر: معاني القرآن للفراء 2/ 248.
(66) مجاز القرآن لأبي عبيدة 2/ 64.
(67) أنظر: المحتسب 2/ 104 والبحر المحيط 6/ 391.
(68) سورة الحشر، الأية: 2.

بكسر الراء مخففة، وقرأ أبو عمرو بن العلاء من السبعة، ووافقه الحسن واليزيدي بفتح الخاء وتضعيف الراء «يُخَرِّبون»[69]، فهل ثمة فرق في الدلالة بين «يُخرِبون» مخففة الراء ويُخَرِّبون» المضعفة؟

أما قراءة الجمهور «يُخرِبون» فهي من أخرب: ترك الموضع خرباً وذهب عنه قال الطبري: يُخربون بتخفيف الراء بمعنى يخرجون منها، ويتركونها معطلة خرابا[70] وأما قراءة أبي عمرو ومن وافقه يُخرِّبون بتضعيف الراء، فهو من خرَّب المكان هدَّمه وأفسده، قال الفراء: «الذين قالوا يُخرِّبون ذهبوا إلى التهديم الذي كان المسلمون يفعلونه»[71]، وقال الطبري أيضاً: «يُخرِّبون بالتشديد في الراء بمعنى يهدمون بيوتهم. . . وكان أبو عمرو ـ فيما ذكر عنه ـ يزعم أنه إنما اختار التشديد في الراء لما ذكرت من أن الإخراب إنما هو ترك ذلك خراباً بغير ساكن، وإن بني النضير لم يتركوا منازلهم فيرتحلوا عنها، ولكنهم خربوها بالنقض والهدم، وذلك لا يكون فيما قال إلا بالتشديد»[72]، فأبو عمرو بن العلاء يرى فرقاً في الدلالة بين خرَّب المضعف وأخرب المزيد بالهمزة، وإن كان الإخراب لا يكون إلا أثراً للتخريب، ولما كان سياق الآية يدل على أن الرسول ـ ﷺ، والمسلمين لمَّا حاصروا يهود بني النضير، وعلم هؤلاء أن مصيرهم سيكون كمصير أسلافهم يهود بني قينقاع وهو الإجلاء، عندئذٍ شحُّوا على ترك البيوت سليمة للمؤمنين، فهدَّموا وخرَّبوا وأفسدوا، ثم أجلوا عنها وتركوها خراباً فالمعنى العام للآية يحتمل التخريب والإخراب[73]. بمعنييهما اللذين أفادهما الوضع اللغوي، حيث إن فعَّل المضاعف وأفعل قد يجيئان بمعنى واحد، وقد يختلفان فتفيد كل صيغة معنىً مغايراً يقول سيبويه: «قد يجيء فعَّلت وأفعلت في معنى واحد مشتركين كما جاء فيما صيرته فاعلاً ونحوه وذلك: وعزَّت إليه

(69) أنظر: النشر 2/ 386 وتفسير الطبري 28/ 30، والبحر المحيط 8/ 242.
(70) أنظر: تفسير الطبري 28/ 30.
(71) معاني القرآن للفراء 3/ 143.
(72) أنظر: تفسير الطبري 28/ 30.
(73) المحرر الوجيز لابن عطية 5/ 284.

وأوعزت إليه، وخبَّرت وأخبرت، وسميت وأسميت، وقد يجيئان مفترقين مثل: علَّمته وأعلمته، فعلّمت: أدّبت، وأعلمت: أذنت، وأذنت: أعلمت، وأذنت: النداء والتصويت بإعلان»[74].

وذهب ابن العربي وأبو حيان إلى أن التضعيف في: فعّل إنما هو بديل للهمزة في التعدية، يقول ابن العربي في توجيه آية سورة الحشر: «زعم قوم أن من قرأها بالتشديد أراد هدمها، ومن قرأها بالتخفيف أراد جلاءهم عنها، وهذه دعوى لا تعضدها لغة، ولا حقيقة، والتضعيف بديل الهمزة في الأفعال»[75]، وقال أبو حيان بعد ذكر القراءتين: «والقراءتان بمعنى واحد عُدِّي خرب اللازم بالتضعيف وبالهمزة»[76]، وكلام سيبويه الذي بناه على الاستعمال العربي لصيغتي فعّل وأفعل في معنيين مختلفين حجة في ذلك، وإذا قلتَ مثلاً: أقلت البيع بمعنى نقضته، فلا تقل: قوّلته في المعنى نفسه، وإذا قلت: أسمنته: وحدته سمينا فإن قلت: سمنته تعطي معنى صيرته سميناً، وتقول: أفحمته: وجدته مُفحماً، فإن قلت: فحّمته صار المعنى صيرته مفحماً، وكذلك تجد فرقاً في المعنى بين: جبّنته وأجبته وهكذا[77]. فهذه هي اللغة التي نفى وجودها ابن العربي وتبعه في ذلك أبو حيان.

8 ـ ومن أمثلة ما تغير مدلوله بسبب التغاير التصريفي في القراءات بين التضعيف والتخفيف ما ورد في لفظ «يُدَعُّون»، ولفظ «يدُعُّ» من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾[78]، وقوله سبحانه: ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾[79] حيث قُرىء الفعلان بالتشديد، وبالتخفيف، فقد قرأ جمهور القراء بتشديد العين وفتح الدال في الفعلين، وقُرىء شاذاً بإسكان الدال وتخفيف

(74) الكتاب لسيبويه، ت: عبد السلام هارون 4/ 62.
(75) أحكام القرآن لابن العربي 4/ 1766.
(76) البحر المحيط 8/ 242.
(77) شرح شافية ابن الحاجب 1/ 90.
(78) سورة الطور، الآية: 13.
(79) سورة الماعون، الآية: 2.

العين[80] وقد ترتب على هذا التغاير التصريفي اختلاف في الدلالة، فأما قراءة الجمهور «يدَعُّون» «يدَعُّ» بالتشديد فهي من: دعَّ: دفع بعنف وجفوة وعلى هذا المعنى جاء التفسير، يقول أبو عبيدة: «يُدعّون: أي يُدفعون، يقال: دععتُ في قفاه أي: دفعت»[81]، ويقول الزّجّاج في تفسير معنى «يدعّون»: «أي يوم يزعجون إليها إزعاجاً شديداً، ويُدفعون دفعاً عنيفاً، ومن هذا قوله: الذي يدعّ اليتيم أي: يدفعه عما يجب له»[82].

وأما قراءة التخفيف فهي من ودع: ترك، والفعلان: ودع ووذر ماضيهما قليل الاستعمال قياساً إذ استغنت العرب عن ذلك باستعمال الفعل ترك وتصاريفه[83] وعلى هذا المعنى جاء في تفسير آية سورة الطور أنه يقال للمكذبين يوم القيامة «هلموا إلى النار وادخلوها دعّا مدعوعين»[84]، وفي تفسير آية سورة الماعون: يدع اليتيم بالتخفيف: يتركه فلا يُحسن إليه[85]، وقال ابن جنّي معناه: «يَعرِض عنه ويجفوه، فهو صائر إلى معنى قراءة العامة «يدعّ اليتيم»[86]، وإذا نظرنا إلى سياق الآيات نجد آية سورة الطور ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ ترسم صورة المكذبين يوم القيامة الذين يستحقون الدفع بعنف وقوة إلى نار جهنم جزاء عنادهم وتكذيبهم في الدنيا، ووجدنا مفعولاً مطلقاً «دعّاً» مذكوراً لتقوية معنى عامله «يدعّون»، فالمعنى والإعراب يشعران بأن قراءة الجمهور بتشديد العين من «يدعّون» هي أدق وأبلغ في أداء المعنى من غير أن ننكر صحة قراءة التخفيف.

وأما آية سورة الماعون ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ فهي تحتمل

---

(80) أنظر: المحتسب لابن جني 2/ 374، والمحرر الوجيز 5/ 87، والبحر المحيط 8145.
(81) مجاز القرآن 2/ 231، وانظر: معاني القرآن للفراء 3/ 91.
(82) معاني القرآن وإعرابه للزّجّاج 5/ 62.
(83) أنظر: البحر المحيط 8/ 480.
(84) أنظر: المصدر السابق.
(85) أنظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة 2/ 313، والبحر المحيط 5/ 527.
(86) المحتسب لابن جني 2/ 374.

المعنيين إذ ترك اليتيم وإهماله وجحود حقوقه كل ذلك يُلحق به الضرر، كما أن دعَّه، ودفعه ونهره كذلك، وإن كان الدعّ أبلغ في التعبير عن إلحاق الضرر. والله أعلم.

وبعد فقد رأينا ألفاظاً من القكرآن الكريم اختلفت تصاريفها من قراءة إلى أخرى بين التضعيف والتخفيف خاصة، ونتج عن ذلك تغاير في الدلالة، وأكد ذلك إما الاستعمال اللغوي، وإما سياق الآيات، ذلك لأن القرآن الكريم تميّز باشتماله على أفصح ما نطقت به العرب، وباستخدامه أرقى الأساليب في تنوع الدلالة، وبوضعه ألفاظاً في سياق معين يُشعرك بالمعنى المراد، ولا غرو فهو كلام الله الذي أنزله على أفصح خلقه محمد عبده ورسوله ـ ﷺ.